

دور الوسيط في ترجمة شعر

العلامة محمد إقبال إلى العربية نظماً

د . إبراهيم محمد إبراهيم⁽¹⁾

اعتمدت اللغة والأدب الأردني في البداية اعتماداً كبيراً على الترجمة من اللغات الأخرى ، وخاصة اللغة العربية واللغة الفارسية في بناء الثروة اللفظية وتغذية هذا الأدب الوليد ، فكانت الترجمة بمثابة العمود الفقري لها ، ولهذا فقد استطاعت هذه اللغة ، رغم أن عمرها الأدبي لا يتجاوز خمسمائة عام بكثير ، أن تكون لنفسها تراثاً ضخماً يحق لها أن تفخر به ، ومع ذلك فقد ظلت اللغة الأردنية لفترة كبيرة - ولا تزال - لغة مستقبلية أكثر منها لغة مرسلّة . وهذا أمر لا نعجب له ، إذ أنها نشأت واشتد عودها على الاستفادة والنقل من اللغات من داخل شبه القارة الهندو باكستانية وخارجها ، ولهذا لم تنل - إلى فترة وجيزة - حظاً من الشهرة باعتبارها لغة تنقل عنها اللغات الأخرى وخاصة في ميدان الشعر كما هو الحال على سبيل المثال في اللغة العربية ، إلى أن جاء العلامة محمد إقبال واشتهر شعره ، وذاع صيته في أرجاء الدنيا ، وذاع معه صيت اللغة الأردنية ، وسارت معه حيث سار ، وتمت ترجمة أشعار إقبال إلى معظم لغات الدنيا ذات الانتشار الواسع ، كما ترجمت أشعار آخرين غيره ، وإن لم تحظ بما حظيت به أشعار إقبال .

لكن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أن تعرف اللغة العربية على الشعر الأردني جاء متأخراً إلى حد كبير ، بل إن إقبال الذي عرفته الدنيا شرقاً وغرباً حال حياته - بل وفي المراحل الأولى منها - لم تعرفه العربية إلا بعد وفاته بأكثر من عشر سنوات ، ولذلك أسبابه التي من أهمها الظروف التي كانت تعيشها دول العالم الإسلامي كله تقريباً في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، إذ كانت تزوح تحت نيران الاستعمار الذي عمل بكل طاقته على أن لا يدع لشعوب هذه الدول نافذة مفتوحة قد يتسلل منها شعاع الأمل ذات يوم فيدفعهم إلى النهوض من الرقاد والانتباه من الغفلة .

¹ - رئيس قسم اللغة للأردنية بكلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر - فرع البنات ، والأستاذ الزائر بقسم دائرة المعارف الإسلامية الأردنية - جامعة البنجاب - لاهور - باكستان حالياً .

وبالرغم هذا فإن اللغة العربية قد سبقت لغات أخرى كثيرة في هذا المجال بفضل الله تعالى ثم بفضل المصريين الذين كانوا دائما في طليعة أبناء العروبة السباقين إلى ينابيع العلم والمعرفة ، وكان طبعيا أن تبدأ الترجمة من الشعر الأردني على أيدي المصريين ، وأن يتم التعارف بين شعر إقبال وغيره والشعر العربي بواسطتهم وفي حضورهم ، ويأتي اسم الأستاذ الدكتور / عبد الوهاب عزام رحمه الله تعالى على رأس قائمة الشرف لأولئك الذين ترجموا أشعار إقبال الفازسية والأردنية إلى العربية شعرا ، والذي يهمننا هنا هو الترجمة التي قام بها سيادته لشعر إقبال الأردني

ثم تتوالى الأسماء في قائمة الشرف ، فيأتي اسم المرحوم فضيلة الشيخ / الصاوي علي شعلان . ثم الأستاذ الدكتور / حسين مجيب المصري ، والأستاذ زهير ظاظا والأستاذ / عبد المعين الملوحي من سوريا الشقيقة ، والشاعر الكبير / محمد محمود الزبيري من اليمن الشقيق ، وربما كان هناك غيرهم .

والوسيط الذي نقصده هنا ليس هو الوسيط المقصود في مصطلح الأدب المقارن من أنه الشخص الذي يقوم بنشر أدب لغة ما وتراتها بين اللغات الأخرى ، وإنما الوسيط الذي نعيه هنا هو ذلك الشخص الذي يتوسط بين الشاعر المنقول عنه ، والشاعر الذي يصوغ الأشعار في اللغة المنقول إليها ، أي أنه الشخص الذي يقوم بترجمة الأشعار الأصلية إلى نثر ، ونقل مفهومها إلى الشاعر الذي يقوم بصياغة هذه الترجمة وهذا المفهوم إلى اللغة التي ينقل إليها . ورغم أن الوسيط في اصطلاح الأدب المقارن ، والوسيط الذي نقصده هنا يشتركان في أن كلا منهما يسهم في نشر أدب لغة ما بين اللغات بنسب متفاوتة ، وهي نفس النسبة التي يشتركان فيها باعتبار كل منهما وسيطا ، إلا أن الوسيط الذي نعيه هنا ينحصر دوره في الترجمة وشرح المعاني ، بينما الوسيط كاصطلاح للأدب المقارن هو صاحب الدور الأكبر ، وهو الذي يتجه إليه القارئ مباشرة حين يطالع ما يكتبه ، إذ أن دوره هنا لن ينحصر في الترجمة أو النقل والصياغة فقط ، وإنما يمتد ليشمل الكتابة والتأليف بما يساعد في التعريف بالأدب المنقول عنه لدى قراء الآداب الأخرى . وقد يكون الوسيط لغة ثالثة بين اللغة المنقول عنها واللغة والمنقول إليها ، بمعنى أن تكون هناك ترجمة لأشعار اللغة التي يقصد النقل عنها إلى لغة غير اللغة التي سيصوغ الشاعر الناقل فيها هذه الأشعار الأصلية - وهي في حالتنا هذه اللغة العربية - ، وظاهر أنه في كل الأحوال ستكون هناك فرضية بأن الشاعر الناقل لا يعرف

اللغة الأصلية غاما ، أو أنه يعرفها ، ولكن ليس بالقدر الذي يمكنه من استيعاب المعنى على الوجه الذي يرمي إليه الشاعر الأصلي ، وهنا يصبح لزاما عليه أن يستعين بمترجم ينتقل إليه معنى الأشعار ويشرحها له . وقد يذكر الشاعر الناقل اسم هذا الوسيط بشكل واضح على غلاف الترجمة جنبا إلى جنب مع اسمه باعتباره مترجما إلى النثر ، وهو - أي الشاعر - صاحب الصياغة ، وقد يذكره ضمنا في المقدمة ، أو في هامش من الهوامش ، وقد لا يذكره أصلا ، وفي كل الأحوال نادرا ما تتضمن الصياغة الشعرية نص الترجمة الشريفة التي قام بها الوسيط ، وهو ما يجعل من تحديد مسؤولية الأخطاء أمرا صعبا ، وبالتالي تتوزع المسؤولية بين الوسيط والشاعر الناقل ، بينما لو كان الوسيط لغة ، فإن النص هنا يصبح في متناول اليد ، وبالتالي يمكن للباحث تحديد مسؤولية الأخطاء بدقة . هذا وقد لعب الوسيط بقسميه - الشخص واللغة - دورا خطيرا في ترجمة الشعر الأردني ، وخاصة شعر العلامة إقبال إلى العربية نظما .

لا شك أن محمد إقبال كان شخصية فذة ، وشاعرا مبدعا ، ومفكرا خلاقا ، ولذا استحق أن تلتفت إليه أنظار العالم شرقا وغربا محاولين معرفته ، والوصول إلى أعماق فكره ، فترجموا أعماله وإبداعاته إلى اللغات المختلفة .

وبالإضافة إلى عبقرية شعر إقبال وفكره ، هناك بعض الأسباب التي حذت بالعلماء إلى ترجمة أعماله ، من بينها أنه كتب بلغتين كبيرتين هما اللغة الفارسية التي كانت تعد في تلك الفترة اللغة الثانية للحضارة الإسلامية بعد اللغة العربية ، واللغة الأردية التي يفهمها ويتحدث بها قطاع عريض من أهل شبه القارة الهندو باكستانية ، وهو قطاع عريض لا يستهان به من حيث عدد السكان وإمكانية تأثيرهم في الحضارة الإنسانية ، هذا بالإضافة إلى ما كتبه إقبال باللغة الإنجليزية . أما السبب الثاني والأكثر أهمية - في رأينا - وراء ترجمة أعمال إقبال فهو أنه لم يقصر فكره ونظرياته على معالجة أوضاع المسلمين فقط ، وإنما تعرض إلى مشاكل الإنسان بعامة ، ولذا فقد اتسم شعره بالعالمية ، ولم يغفل ما يدور من أحداث في زمانه ، فأيد ما رآه منها حقاً ، وأعرض عما اعتقد بطلانه . إذ كان هدفه الاسمي يتركز في حلمه بعالم تسوده المحبة والإخاء ، وتنحطم فيه حواجز الدم واللون والجنس ، وتندثر أحقاد الطبقات التي لا تقوم إلا على مشاعر البغض والتناحر والاستبداد ، ومن هنا تحدث عن " عصبة الأمم " ، وناقش قضايا الاشتراكية ، وأفسح المجال في شعره لصراع الحبشة من أجل التحرير

، وثورات الشام وهي تناوى الاستعمار ، وتمرد الهند وهي تدافع الغزاة ، والتحذير من اليهود وهم يحكون الألاعيب والمؤامرات ، وغير ذلك من الاحداث الجسام التي كانت تلقي بظلالها على بني الإنسان جميعا .

ولقد كان المصريون - كما سبق أن أشرنا - أول من عرف العالم العربي بالمفكر العظيم محمد إقبال ، ويرجع الفضل في ذلك إلى المرحوم الأستاذ الدكتور / عبد الوهاب عزام الذي ترجم من شعره الفارسي أول الأمر ديوان " الأسرار والرموز " ، ثم ترجم له ديوانه الأردّي " ضرب الكليم " الذي طبع ونشر لأول مرة في القاهرة عام 1952م .

والدكتور عبد الوهاب عزام علم من أعلام الدراسات الشرقية في مصر ، وله باع طويل في هذا الميدان الفسيح ، وقد ولد الدكتور عبد الوهاب عزام عام 1894م في إحدى قرى مدينة الجيزة تسمى قرية " الشوبك " ، وظل يرتقي في تعليمه حتى حصل على الشهادة العليا من مدرسة القضاء الشرعي عام 1920م ، وعين بها مدرسا ، إذ كان من أوائل خريجيها ، ثم حصل على درجة الليسانس في الآداب والفلسفة من الجامعة المصرية عام 1923م ، وتم اختياره مستشارا دينا للسفارة المصرية في لندن ، وهناك درس اللغات الشرقية ، وحصل على درجة الماجستير فيها عام 1927م ، وكان موضوع رسالته : " النصوص في رأي فريد الدين العطار " ، ثم عاد إلى مصر وعمل ضمن هيئة التدريس بجامعة القاهرة إلى أن صار عميدا لكلية الآداب ورئيسا بقسم اللغات الشرقية بها عام 1946م ، كما عمل سيادته سفيرا لمصر في باكستان عام 1950م ، وسفيرا لمصر بالملكة العربية السعودية حيث أسس جامعة الرياض ، وظل يعمل مديرا لها من عام 1957م حتى وافته المنية في الثامن عشر من يناير عام 1959م (1) .

كان الدكتور عبد الوهاب عزام رحمه الله موسوعة لغات ، إذ كان يجيد اللغة الفارسية واللغة التركية واللغة الأردية واللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية بالإضافة للغة العربية ، وقد أترى هذه اللغات جميعا بالتأليف فيها والترجمة عنها وإليها ، وكان رحمه الله من عشاق إقبال ومحبيه ، وكان يطلق عليه الشاعر الفيلسوف المؤمن ، وفي باكستان حيث كان سيادته يعمل سفيرا لمصر ، كانت تجتمع عنده مجموعة كبيرة من محبي إقبال ومريديه سماهم " دراويش إقبال " يتدارسون فيما بينهم أعمال الشاعر العظيم رحمه الله .

أما ديوان " ضرب الكلم " الذي ترجمه الدكتور عبد الوهاب عزام من الأردية إلى العربية شعرا فقد ترجمه استجابة لافراح من أحد أصدقائه الباكستانيين الخيين لإقبال وهو الأستاذ غلام أحمد برويز صاحب معارف القرآن (2) باعتبار أن هذا الديوان تتجلى فيه فلسفة إقبال القوية ، ودعوته الصريحة في أمور معينة جعلها في الديوان فصولا (3) ، وبالفعل كان الدكتور عبد الوهاب عزام يجمع هو والأستاذ أحمد برويز والأستاذ سيد عبد الواحد بدار السفارة المصرية بكراتشي مرتين أو ثلاث مرات أسبوعيا لقراءة الكتاب واستقصاء معانيه والتعمق في إشاراته وعباراته قبل بدء الترجمة ، وكذا ينضم إلى ثلاثتهم في بعض الأحيان آخرون من محبي إقبال وعشاقه ، وقد أطلق الدكتور عبد الوهاب عزام على هذا المجلس " مجلس إقبال " . وعلى الحضور " قلندران إقبال : دراويش إقبال " ، وعلى الأستاذ أحمد برويز " شيخ قلندران إقبال : شيخ دراويش إقبال " . واستمرت هذه القراءة للديوان ثلاثة أشهر بداية من عقب عيد الفطر من عام 1370هـ وحتى عشاء يوم السبت خاتمة المحرم عام 1371هـ ، ثم بدأ الدكتور عبد الوهاب عزام الترجمة ليلة الاثنين حادي عشر شوال عام 1370هـ / السادس عشر من تموز عام 1951م ، ويسر الله له الفراغ من الترجمة عشاء ليلة الأحد الثامن عشر من صفر الحير عام 1371هـ / الثامن من تشرين عام 1952م ، وكتب مقدمة لها بمدينة كراتشي في التاسع عشر من جمادى الثانية عام 1371هـ / الخامس عشر من آذار عام 1952م .

وتتميز ترجمة الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام رحمه الله لديوان إقبال الأردني " ضرب الكلم " بسميزات نذكر منها :

- 1 - أنه قد ترجم الديوان كاملا ، ولم يترك منه إلا النذر اليسير .
- 2 - قدم في الهامش شروحا وتعليقات لما يحتاج إلى بعض الوضوح من مصطلحات إقبال وفلسفته .
- 3 - حرص على أن تكون الترجمة أقرب ما تكون إلى روح النص الأصلي من حيث المعنى وعدد الأبيات كذلك ، حيث تساوت الترجمة مع الأصل في أكثر منظومات الكتاب فيما يتعلق بعدد الأبيات .

وبإحصاء منظومات الديوان كلها وجد أن عددها (204) منظومة ومقطوعة ، اتفقت ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام مع الأصل في عدد الأبيات في (119) منها ،

وترك ثلاث منظومات بغير ترجمة هي : " اشتراكيت : الاشتراكية " " كارل ماركس : كارل ماركس " و " خواجهي : السيادة " ، وربما سقطت هذه المنظومات من الترجمة سهوا . إذ لا يوجد ما يرجح إسقاطها عمدا ، وهذه ترجمة نثرية للمنظومات الثلاث التي سقطت من الترجمة :

الاشتراكية (4) :

- * يبدو لي من سلوك الأمم ... أن ثورة السروس ليست عبثا .
- فالعقل تشده الأفكار الجديدة . والعصر قد ملّ من الأساليب القديمة .
- فلنكن أيها المسلم غواصا في القرآن .. لعل الله ينحك تجديدا في شخصيتك .
- فلربما تظهر في هذا العصر تلك الحقيقة الكامنة في " قل العفو " .

كارل ماركس (5) :

- هذا التحايل بالعلم والحكمة، وهذا الاستعراض بالمناقشات والجدل مع أن العالم اليوم لا يقبل الأفكار القديمة .
- ما الذي في كتبكم يا فلاسفة الاقتصاد ... غير سطور معقدة واستعراض المستحيلات .
- معابد الغرب وكنائسه ومدارسه ... تخفي مصائب الطمع إبداعات العقل الخبيث .

الاستعمار (6) :

- العصر الحاضر في الحقيقة هو العهد القديم . فأهل السجادة في القديم هم اليوم أهل السياسة .
- ولا فتنل في هذا لرجال الدين ولا للحكومة فالعامة قد اعتادوا الاستعباد منذ آلاف السنين .
- * وليست هناك مشكلة أمام التسلط ... حين تتمكن العبودية من العبيد .
- كما يدل الدكتور عبد الوهاب عزام قليلا في بعض عناوين المنظومات ، وإن كانت كلها تغييرات لا تؤثر في الموضوع ، وإنما تريده إيضاحا ، لكن الإشارة إلى هذه التغييرات أمر واجب . هذا وقد جاءت ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام على قدر كبير من الالتزام والدقة والأمانة لأسباب منها :

- 1 - أن الدكتور عبد الوهاب عزام كان محبا لإقبال معجبا بفكره .
 - 2 - أن الدكتور عبد الوهاب عزام كان مستوعبا استيعابا كاملا لفلسفة إقبال .
 - 3 - أن الدكتور عبد الوهاب عزام كان أديبا بارعا ، وشاعرا موهوبا .
 - 4 - أن الدكتور عبد الوهاب عزام كان ذا ثقافة وميول إسلامية عميقة مثله في ذلك كمثل إقبال .
 - 5 - معرفته باللغة الأردنية ، واستعانته في فهم أشعار إقبال بمن هم على معرفة بها وفهم عميق لها .
 - 6 - أن الدكتور عبد الوهاب عزام كان على قدر كبير من الثقافة وإجادة العديد من اللغات الشرقية والأجنبية .
 - 7 - أن الدكتور عبد الوهاب عزام قد أتاحت له الفرصة للحياة في بلاد إقبال مما وفر له الجو الروحي الذي يزيد في الإلهام الشعري ويقويه .
- وليس معنى قولنا أن الدكتور عبد الوهاب عزام كان محبا لإقبال مستوعبا لفلسفته وذا ثقافة إسلامية عميقة مثله أنه كان مقلدا لإقبال ، وإن كنا لا نستطيع إنكار تأثيره به وما ، فنحن لا نغفل إلى مقارنته بإقبال ، والدكتور عبد الوهاب نفسه لا يرى هذه المقارنة صحيحة ، يقول :
- " يؤسفني أن بعض النقاد وضع أدبي وأدب إقبال في ميزان المناقشة ، وجهدوا أن يشيعوا أغلاطهم في هذا الشأن ، وهذا عمل لا يليق بالأدب الفسيح الذي يخاطب التسوع الإنساني كله لأن في ساحة الأدب العالمي يقوم الشعراء وأولو الفن في منبت واحد من الأخوة الإنسانية ، ويقيني أنني ومحمد إقبال عاملان للصدق والجمال في الأدب ونحن نلتقي حيث يقدم القلب الإنساني والعقل إلى عالم الإنسانية أجمل هداياها وأروعها " (7) .
- ولا شك أن الدكتور عبد الوهاب عزام قد واجه صعوبات كثيرة أثناء الترجمة ، وخاصة أنها من شعر ممتزج بالفلسفة وعمق الفكر ، إلى شعر عربي متين ، مع التزام وأمانة في النقل وعرض الفكرة والمعنى . صحيح أن هذه لم تكن المرة الأولى التي يترجم فيها الدكتور من شعر إلى شعر ، فقد سبقت ترجمة ديوان " ضرب الكليم " ترجمته من الفارسية لديوان إقبال " بياض مشرق : رسالة الشرق " ، وطبع الديوان في كراتشي في الذكرى الثالثة عشرة

لوفاة إقبال في أبريل عام 1951م ، وقدمت جماعة إقبال الديوان العربي إلى حاكم باكستان العام في ذلك الوقت في احتفال رسمي حاشد (8) ، لكن الدكتور عبد الوهاب عزام يعترف بما واجهه من صعاب في هذه الترجمة ، يقول : " لقيت في ترجمة ضرب الكلم عناء أكثر مما لقيت في ترجمة ييام مشرق ، إذ حرصت على ألا تذهب الترجمة بقسمات الشعر فيه ، وألا ينصل بها الخضاب الشعري القليل ، وألا يذبل هذا الزهر الصغير بالانتقال من روضة إلى روضة ، وألا تضع الدقائق الشعرية بين لغتين مختلفتين وأسلوبين من البيان متباعين " . (9) ويعزي الدكتور عبد الوهاب عزام هذه الصعوبات إلى أن الديوان " يشتمل على آراء ونظريات في الناس جماعات ووحدانا ، وفي الدين والتربية والفنون والأدب والسياسة ، فهو أدخل في الفكر والفلسفة ، ولكن فيه من العاطفة والخيال ما يدخله في الشعر فالكلام في ضرب الكلم شعر يقارب الحقائق المجردة أحيانا ، ويعين في الشعر أحيانا ، ولكنه في جملة أقرب إلى الخيط منه إلى المركز " (10) .

وعندما ترجم الدكتور عبد الوهاب عزام ديوان " الأسرار والرموز " من الفارسية إلى العربية شعرا أشار إلى مثل هذه الصعوبات بقوله : " وكنت أحسب أن ترجمة هذا الديوان " الأسرار والرموز " أسير من ترجمة الديوانين " رسالة المشرق وضرب الكلم " لأنه منظوم في بحر واحد هو الرمل ، على القافية المزدوجة التي تتغير فيها النقية في كل بيت - وهي التي تسمى المتنوي في اصطلاح الأدب الفارسي - ولكن الترجمة طالت أكثر مما قدرت ، إذ كان الديوان نظما متصلا لا ينشط المترجم فيه نشاطه حين يترجم قصيدة من ديوان ، فيرى أنه أتم عملا ، فيستأنف ترجمة قصيدة أخرى فيتمها ، وهلم جرا ولا أعرض لطريقة الترجمة ، ولا أتحدث عن صعوبتها ، ولا سيما ترجمة النظم بالنظم على اختلاف اللغتين في المجازات والأساليب ، وعلى غرابة الموضوع ، فقد أبنت عن هذه وهذه في مقدمة الديوانين - رسالة المشرق وضرب الكلم " (11) .

ونسوق هنا - إتماما للفائدة - بعض النماذج من ترجمة الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام لديوان " ضرب الكلم " لتبين إلى أي مدى نجح في ترجمة الديوان :

النموذج الأول : مقطوعة من القسم الثالث الخاص بالمرأة من الديوان بعنوان " الرجل الإفرنجي " (12) وهي ترجمة لمقطوعة من الديوان بعنوان " مرد فرنك " ، يقول إقبال :

بزار بار حکیمون نہ اس کو سلجھایا مکر یہ مسئلہ زن ربا و بین کا و بین
 قصور زن کا نہیں ہے کجیہ اس خرابی میں کواہ اس کی شرافت بہ بین مہ و بروین
 فساد کا ہے فرنگی معاشرت میں ظہور کہ مرد سادہ ہے بیچارہ زن شناس نہیں
 و ہذہ ہی الترجمة الثرية للمقطوعة :

آلاف الحكماء حاولوا حل مشكلة المرأة ... لكنها بقيت كما هي .
 ليس للمرأة ذنب في هذه المشكلة ... فالكواكب شاهدة على شرفها .
 ظهر الفساد في مجتمع الفرنجية ... لأن الرجل ساذج لا يعرف المرأة
 وقد ترجمها الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام كالتالي :

کم حکیم قد تمی حلہ مشکل المرأة في هذي الحياة
 لا تلمها في فساد شائع شهدت بالطهر كل النيرات
 عشرة الإفرنج هج مفسد جهل الحمقى طباع المحصنات

ولتأمل عبقرية الدكتور عبد الوهاب عزام حين ترجم " شرافت " بـ " الطهر "
 وترجم " لأن الرجل ساذج لا يعرف المرأة " بقوله : " جهل الحمقى طباع المحصنات "
 فالطهر لفظ يناسب وصف المرأة ، وأضاف لفظ " المحصنات " قداسة وجمالا إلى المعنى
 وإن لم يوجد في النص الأصلي ، لكن تفاعل الدكتور عبد الوهاب عزام مع فكر إقبال جعله
 يعرف أن إقبال قصد هذا المعنى أيضا .

النموذج الثاني : مقطوعة من نفس القسم بعنوان " حرية النساء " (13) ، وهي ترجمة
 لمقطوعة بعنوان " آزادیء نسوان " ، يقول إقبال :

اس بحث کا کجیہ فیصلہ میں کر نہیں سکتا
 کو خوب سمجھتا ہوں کہ یہ زہر ہے ، وہ قند
 کیا فائدہ کجیہ کہہ کہ بنوں اور بھی معتبوب
 ہلے ہی خفا مجھ سے بین تہذیب کے فرزند

اس راز کو عورت کی بصیرت ہی کریں فاش
 مجبور ہیں ، معذور ہیں ، مردان خردمند
 کیا چیز ہے آرائش و قیمت میں زیادہ

آزادیء نسوان کہ زمرد کا کلونڈ

والترجہ النثریہ لہذہ المقطوعۃ کما یلی :

لا أستطیع أن أقر شینا فی هذا الجدل مع أني أعرف أن هذا سم وذاك سکر

ما فائدة أن أقول شینا ازداد به ملامۃ فأبناء التمدين غاضبون مني قبلًا

هذا السر تجلیه بصیرۃ المرأة فقط وعقلاء الرجال مجبورون معذورون

أي الأمرين أكثر قيمة وجمالًا : حرية النساء ، أم زمردۃ حول العنق ؟

وقد ترجها الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام بنفس عدد الأبيات کما یلي :

قضیۃ عصر لست فیها بفیصل وإن كنت بین الشهد والسم أفرق

وما نفع أقوال تزيد ملامتی وقبلًا بنسو التمدين عني تفرقوا

یبین هذا السر وجمالان مرآة ويعجز عنه فی الرجال الخقق

أحرية النسوان أجمل زینۃ أم الجید بالذر الثمین يطوق

ولننظر إلى كلمة " عصر " التي أضافها الدكتور عبد الوهاب عزام إلى الشطر

الأول من البيت الأول وما أضافته من وضوح فی المعنی واتساعه ، ومن الصعب أن یظن من

یقرأ هذه الأشعار أنها مترجۃ عن نص آخر من لغة أخرى ، وهو أمر لا نلمسه إلا عند

الترجم الذي ینقل بغير وسيط بینہ وبين النص الأصلي .

النموذج الثالث : مقطوعۃ من قسم الأدب والفنون بالدیوان ، وهي بعنوان

أهرام مصر " (14) وترجها الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام بنفس العنوان ، یقول إقبال

اس دشت جگر تاب کی خاموش فضا میں

فطرت نہ فقط ریت کہ تیلہ کی تعمیر

اھرام کی عظمت سے نکونساں بین افلاک

کس باقیہ نہ کہینجی ابدیت کی یہ تصویر

فطرت کی غلامی سے کر آزاد ہنر کو صیاد بین مردان ہنر مند کہ نخبیر

وہذہ ہی الترجۃ النثریۃ للمقطوعۃ :

فی الفضاء الصامت لہذہ الصحراء المحرقۃ شیدت الفطرۃ کتبانا من الرمال فقط

والأفلاک خجلۃ من عظمت الأھرام أي ید رسمت هذه الصورة الخالدة

حرر الفن من عبودیۃ الفطرۃ رجال الفن صیادون أم صید ؟ !

وصاغها الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام شعرا كما يلي :

شادت الفطرة كنبأناها في سكون من يباب قد وقد

روع الأفلاك فيسه هرم أي كف صورت هذا الأبد

من إसार الكون حرر صنعة صائد ذو الفن أم صيدا يعدد

وهكذا في باقي الديوان الذي تميزت ترجمته بقدر كبير من الإجادة والاقتراب من الأصل ، وتضمنها للمعنى كاملا دون نقصان ، وبلغتها العربية الجميلة ، ثم بشاعريتها التي تمتع القارئ رغم أنها ترجمة ، وذلك لخلوها إلى حد كبير من السمات التي تشير إلى أن هذه الأشعار مترجمة عن نص آخر ، وذلك راجع إلى كون الدكتور عزام شاعرا ذا حس مرهف ، وفي نفس الوقت يملك ناصية اللغة العربية . ويبقى السؤال : هل كان للوسيط دور في ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام أم لا ؟ .

لا نستطيع أن نحزم جزما مطلقا بوجود وسيط في هذه الترجمة ، إذ أن المصادر تشير إلى أن الدكتور عزام كان يعرف الأردية ، ثم إن إقامته في باكستان كسفير لمصر بها صقلت هذه المعرفة ، وتدل ترجمته بشكل واضح على إجادته للغة الأردية وذلك لقربها الشديد من الأصل كما سبق أن ذكرنا ، رغم أن الدكتور عبد الوهاب عزام قد أشار في مقدمة ترجمة الديوان إلى المجلس الذي كونه من محبي إقبال في السفارة المصرية بكراتشي ، وهذا - في الحقيقة - لا يعني أكثر من أن الجلسات التي كانت تعقد في السفارة المصرية قد أفادت في فهم واستيعاب مضامين أشعار إقبال ، ولم تعداها إلى كونها وسيط يترجم من الأردية إلى العربية نثرا ، ثم يقوم الدكتور عبد الوهاب عزام بالصياغة الشعرية العربية .

ومن الذين ترجموا للعلامة محمد إقبال الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري - أطل الله في عمره - والذي بعد بحق من رواد الدراسات الشرقية في مصر ، فهو صاحب علم وفضل في اللغات الشرقية ، وخاصة اللغة التركية واللغة الفارسية ، كما أنه على معرفة بالثغة الأردية وأدها ، وله العديد من المؤلفات والدواوين ، فهو شاعر مجيد وصاحب أسلوب متميز . وقد ترجم الدكتور حسين مجيب المصري لإقبال من الفارسية مثنوي " جاويد نامه : رسالة الخلود " إلى العربية شعرا تحت عنوان " في السماء " ، ونشر لأول مرة في القاهرة عام 1973م ، وترجم كذلك القسم الفارسي من ديوان " ارمغان حجاز " تحت عنوان " هدية الحجاز " ، ونشر بالقاهرة عام 1975م .

هذا وقد ترجم الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري للعلامة إقبال من اللغة الأردنية إلى العربية شعرا عدة منظومات وقصائد هي : دعاء - دعاء طارق في ميدان حرب الأندلس - أول نخلة عرفها الأمير عبد الرحمن الأول في الأندلس - استغاثة المعتمد في السجن - أسبانيا ، وأطولها منظومة " جامع قرطبة " ، والتي تضم في الأصل أربعة وستين بيتا . وجاءت الترجمة في ستة وستين بيتا ، ونشرت ضمن كتاب " الأندلس بين شوقي وإقبال " ، والذي صدرت الطبعة الأولى منه في القاهرة عام 1994م . وقد كان الوسيط في هذه الترجمة أحد أبناء الهند ممن يتحدثون بالأردية ، وكان يدرس في مصر وقتها ، وقد وجه الدكتور حسين مجيب المصري الشكر له في حاشية صفحة 335 من الكتاب .

وإذا جاءت الترجمة في عمومها متوسطة المستوى تفتقد في بعض الأحيان إلى الربط الموضوعي بين أبياتها ، ويعود السبب في ذلك - على الأرجح - إلى الوسيط الذي فشل في فهم الأبيات - على ما يبدو - في توصيل المفهوم الدقيق لأشعار إقبال إلى الدكتور حسين مجيب المصري ، إما لضعف لغته العربية - وهو أمر طبيعي لكونه من غير أهل اللغة العربية - أو لعدم استيعابه للمعنى الذي قصده إقبال ، ويقوي هذا الاستنتاج هذا النموذج من الترجمة النثرية التي قام بها الوسيط الهندي للدكتور حسين مجيب المصري ضمن ترجماته لأندلسيات إقبال التي صاغها الدكتور حسين شعرا ، والترجمة تفتقد إلى الدقة التي تفقد المعنى بدورها مقصوده ، يقول إقبال متحدثا عن قرطبة :

هو زمن قرطبة هي ديدع مسلم كا نور ظلمت مغرب مين جو روشن قى مثل شمع طور
بجه ك بزم ملت بيضا بريشان كر كنى اور ديا قذيب حاضر كا فروزان كر كنى
وترجمة هذين البيتين كما يلي :

أرض قرطبة نور عين المسلم ... التي كانت مضيئة في ظلام الغرب كشمع الطور .
فرقت بانطفائها محفل الملة البيضاء ... وأضاءت مصباح الحضارة المعاصرة .
وجاءت ترجمتها النثرية في كتاب " الأندلس بين شوقي وإقبال " للدكتور المصري ، كما يلي :

أنت يا قرطبة في عين المسلم نور . كنت في ظلمة كالنور في شعة الطور
ولما انطفأ ما لنورك من لألاء ... خيمت الوحشة على محفل الملة البيضاء ،

أما سراج الحضارة فما عاد يشع الضياء .

ومع ذلك فمن الإنصاف للوسيط الهندي الإشارة إلى وضوح أسلوب الدكتور حسين مجيب المصري في هذه الترجمة والذي ينم عنه هذا السجع ، وهذه التقنية الواضحة فيها .

والوسيط الثاني الذي تعاون مع الدكتور حسين مجيب المصري في ترجمة أندلسيات إقبال هو أحد المصريين الذين درسوا الأردية في مصر ، وكان يعمل وقتها معيدا على الأرجح ، وقد ذكره الدكتور مجيب المصري في هامش صفحة 257 من الكتاب سالف الذكر . ولهذا جاءت الترجمة في أحيان كثيرة ناقصة غير مستوعبة للمعنى كاملا ، فجاءت صياغتها الشعرية ناقصة أيضا ، وهذه نماذج لتوضيح هذا الإجمال :

النموذج الأول : في مقطوعة بعنوان " دعاء " كتبها إقبال في أثناء زيارته لمسجد قرطبة وردت ترجمة معظم أبياتها شعرا في كتاب " الأندلس بين شوقي وإقبال " ، يقول إقبال :
 هـ يهى ميري غار ، هـ يهى ميرا وضو ميري نواؤون مين هـ ميري جكر كا هو
 راه محبت مين هـ كون كسى كا رفيق ساقـ مريـ ره كنى ، ايك مري آرزو !
 تجھ س مري زندكى سوز وتب ودرد وداغ

تو هي مري آرزو ، تو هي مري جستجو

فلسفه وشعر كى اور حقيقت هـ كيا حرف تمنا جسـ كهه نه سكين روبرو

وهذه هي الترجمة الشعرية للأبيات السابقة المقتطعة من مقطوعة إقبال :

في نغماتي دماء كبدي. وهذه هي صلاتي ، وهذا هو وضوئي من الذي يبقى رفيقا لأحد في طريق المحبة .

وأنا لم يبق برفقتي سوى أمنيتي حياتي بك تمتلئ حرفة وأما وحرارة ...

فأنت أمنيتي ، وأنت مطلبي ما حقيقة الفلسفة والشعر غير أنه

تعبير عن الأمان التي لا نستطيع التعبير عنها وجها لوجه .

وقد جاءت الصياغة الشعرية لهذه الأبيات كما يلي :

وضوئي طهوري وذو ركعتي ومهجة قلبي بها نغمتي

طريق المحبة ذا أقفرا فما من رفيق معي قد يرى

حياتي ذنوب بها توقد وإنك وحدك من يقصد

وذلك شعري ومن حكمتي عجزت أمامك عن قولتي

النموذج الثاني : من مقطوعة لإقبال بعنوان " عبد الرحمن أول كا بوياء هوا كهجور كا بهلا
درخت سرزمين أندلس مين " ، يقول إقبال :

ابني وادي سـ دور هون مين ميريـ لينـ نخل طور هـ تو
غربت كي هوا بارور هو ساقى تيرا نم سحر هو !
والترجمة النثرية للبيتين كما يلي :

أنا بعيد عن وادي " وطني " فأنت لي كنتخل الطور
فلتسمري في هواء الغربة وليكن ساقيك ندى الصباح
بينما جاءت الصياغة الشعرية كما يلي :

وأرضك عني بعيد بعيد كآني في الطور نخلأ أريد
أنا في غموم أنا في اغتراب فجنني بسحرك ساقى الشراب

وكما هو واضح ، فإن الترجمة في واد ، والأصل في واد آخر ، بل إن بها من الأخطاء في فهم
الجملة الأردنية من تلك الأخطاء التي لا يقع فيها إلا الدارس في مراحل دراسته الأولى ،
فالجملة " ابني وادي سـ دور هون مين " بها ضمير الملكية العام " ابني " وهو يفيد ملكية
الشيء لفاعل الجملة ، لكن الدارس دائما ما يفهم خطأ تبعته للمخاطب وذلك لقربه لفظا
من ضمير التعظيم الشخصي " آب " ، وهو ما حدث هنا بالفعل . وهنا تنبغي الإشارة إلى أن
الترجمات التي كان الوسيط فيها من المتحدثين بالأردنية أفضل حالا من تلك التي كان الوسيط
فيها دارس مصري ، والفارق بينهما هو نفس الفارق بين ترجمة كل منهما ، وهذا لا يمنع من
القول بأن كلا منهما قد اجتهد في الترجمة قدر استطاعته ، ولم يكن في الإمكان - وقتها -
أندع مما كان . ومع ذلك فقد جاءت الترجمة جيدة في بعض أبيات المنظومة ، وهو أمر محمود
للوسيطين ، وبطبيعة الحال للأستاذ القدير الدكتور حسين مجيب المصري .

وهناك أمر آخر ربما كان من بين أسباب ضعف الترجمة وهو أن العلامة محمد إقبال
قد كتب منظوماته السابقة في هيئات فنية معينة على شكل وحدات مستقلة تضم كل وحدة
منها سبعة أبيات أو أقل أو أكثر في قافية موحدة ، وفي نفس الوقت تتصل الوحدات جميعها
في المعنى مما يعد من أشكال المسط ، بينما ترجمها الدكتور حسين مجيب المصري في شكل
الثنوي الذي لا يستطيع التعبير بشكل جيد عن موضوع المنظومات كموضوعات حضارية
وفكرية عميقة ، في حين أن الثنوي تناسبه القصص والموضوعات التعليمية بشكل أكبر . هذا

ولا بد أن نضع في الاعتبار عند قراءة ترجمة الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري ذلك الفارق الذي يكون بين شاعر وآخر مما يمنحه الله لأحدهما دون الآخر .

ومن الذين ترجموا للعلامة إقبال من الأردية إلى العربية شعرا الأستاذ السوري زهير ظاظا ، حيث ترجم له ديوان " بال جبريل : جناح جبريل " ، ونشرت هذه الترجمة في طبعتها الأولى في سوريا عام 1989م ، وكان الوسيط في هذه الترجمة هو الترجمة النثرية التي قام بها الأستاذ السوري عبد المعين الملوحي للديوان عن الترجمة الفرنسية له والتي قام بها الأستاذ مرزا سعيد الظفر جغتائي بالتعاون مع الفرنسية سوزان بوزاك ، وكان عنوان الترجمة الفرنسية كالتالي :

SPIRITUALES VIVANTES
COLLECTIONS PUBLIEES SOUS LA DIRECTION DE
JEAN HERBERT
SERIE ISLAM
MOHAMMAD IQBAL
L, AILE DE GABRIEL
(BAL- E- DJIBRIL)
Texte ourdou traduit par
MIRZA SAID-UZ-ZAFAR CHAGHTAI
Et SUZANNE BUSSAK

ويصرح مترجما الديوان إلى الفرنسية في مقدمة الترجمة بأنهما اعتمدا على الطبعة الثالثة عشرة لديوان " بال جبريل " التي صدرت في أغسطس عام 1963م . أما الأستاذ عبد المعين الملوحي فيثني على الترجمة الفرنسية بقوله : " أشهد أن المترجمين قدما لنا نصا جيدا حرصا فيه كل الحرص على الأمانة والدقة ، وبلغا فيه حدا ممتازا من النجاح . " (15)

وأما الأستاذ زهير ظاظا فقد وصف ترجمة عبد المعين الملوحي بأنها " وإن لم تكن عن الأصل مباشرة فإنها قد اكتسبت من خبرته بفلسفة إقبال وشعره ما ضمن لها الدقة والأصالة في نقل مشاعر إقبال " (16) ، ووصف ترجمته بأنها " ملحق لما قدمه الأستاذ عبد المعين الملوحي من ذخير للمكتبة العربية بترجمته لجناح جبريل ، ولا يمكن أن يوصف بأنه مستقل عنه " (17) . ويقول كذلك : " وقد حاولت قدر الإمكان أن ألزم ألفاظ الترجمة في الأصل ، وأن أبقى على ما ورد من أسماء الأعلام ليأخذ القاريء فكرة عن موسوعية إقبال الثقافية ،

وصدرت كل قصيدة برقم صفحتها في الأصل لتسهيل العودة إليها عند الاستشكال " (18) . وأما السبب الذي دفع زهير ظاظا إلى ترجمة الديوان فهو كما يذكر في المقدمة قائلا : " والشئ الوحيد الذي دفعني لنظم جناح جبريل هو شاعرية إقبال التي أنتجت حياة رجل كان لأتمته معقد أملها وهي تقف على شفا جرف هار ، والإنجليز ينسقون الأوراق النهائية لمسرحية الهند ، والمؤتمرات تعقد هنا وهناك ، وهذا كله ليس شيئا بالنسبة لما يعتصر قلبه من الآهات على حاضر المسلمين " (19) .

هذا وقد صدر زهير ظاظا ترجمته - بالإضافة إلى المقدمة - بمدخل استعرض فيه فلسفة إقبال وفكره ونظرياته وبعض مصطلحاته ، وجعل الهوامش والحواشي في نهاية الديوان ، وكتب فيها تعليقات وافية ومفيدة للغاية تساعد كثيرا على فهم مقصود إقبال ، هذا وقد ترك زهير ظاظا رباعية من الديوان ، وقطعتين في آخره دون ترجمة ، كما تصرف في كثير من الأحيان في بعض العناوين ، بل ووضع لبعض الغزليات عناوين من عنده طبقا لموضوعها . فأما الرباعية التي ترك ترجمتها فهي :

نرى شيش من — باقى نين هـ — بنا كيا تو مرا ساقى نين هـ —

سمندر سد ملد بياسد كو شبنم ! بخيللى هـ به رزاقى نين هـ — (20)
وترجمتها النثرية كالتالي :

لم يبق في كأسك خمر ... أخبرني : أ لست أنت الساقى !

فإن لم يحصل الظمآن من البحر إلا على الندى فإن هذا بخل وليس رزق !

مع أن الأستاذ عبد المعين الملوحي قد ترجمها بالفعل ، وهذه هي الترجمة :

ألم تبق غمالة من الخمر في كأسك قل لي : أ لست أنت من يسقيني ؟

إذا لم ينل الظمآن إلا الندى من البحر فليس ذلك كسرما ولكنه بخل !

وأما القطعتين الأخيرتين في الديوان واللتين تركهما كل من الأستاذ عبد المعين الملوحي

والأستاذ زهير ظاظا بالتبعية فهما كالتالي :

القطعة الأولى :

فطرت مرى مانند نسيم سحرى هـ رفتار هـ مبرى كبهى آبسته كبهى تيز

بھاتا ہون اطلس کی قبا لالہ وکل کو کوتا ہون سر خار کو سوزن کی طرح تیز
(21)

وترجتها كالتالي :

فطري كنسيم السحر ... وتقدمي بطيء احيانا ، وأحيانا يكون سريعا
أليس الشقائق والورود رداء أطلس ... وأجعل رأس الشوك حادا كالنيران .
القطعة الثانية

كل ابن يريدون سـ بير مغان قيمت مين يه معنى هـ شراب سـ وه جند
زهر اب هـ اس قوم كـ حق مين منـ الهرنكـ
جس قوم كـ بجـ فمين خوددار وهر مند (22)

وترجتها كالتالي :

بالأمس قال الشيخ لمريديه .. هذا الكلام يفوق في معناه الدر المكنون
إن حر الترجمة بمثابة السم في حق تلك الأمة .. التي يفتقد أبنائها الاعتزاز بالنفس والعمل
وكما سبق أن أشرنا إلى أن الوسيط عند الأستاذ زهير ظاها هو الترجمة العربية
للتجمة الفرنسية للأصل الأردني ، أي أن هناك ما يشبه وسيطا ثانيا ، وبالتالي كان من المتوقع
أن تكون هناك مسافة كبيرة بين النص الأصلي الأردني والترجمة العربية ، لكن هذا المتوقع لم
يكن صحيحا على إطلاقه ، إذ أن ترجمة الأستاذ زهير ظاها ترجمة لا بأس بها ، وتقرب من
النص الأصلي في كثير من الأحيان ، وشعرها العربي علي مستوى كبير من الجودة ، وخاصة
أنه في معظمه شعر عمودي مما زاد في رونق الترجمة ، وهذا كله عندما يتضح المعنى أمام
المترجم ، فإنه حينئذ لا يضطر إلى الإطالة أو الإضافات التي لا حاجة لها وتخل بالمعنى المقصود
وتبعده عن الأصل ، ومع ذلك فإننا نلاحظ أن شعر إقبال يقصد إلى المعنى مباشرة ، على
عكس ترجمة الأستاذ ظاها والتي تدور - في كثير من الأحيان - حول الفكرة ، فتبدو حيرة
المترجم في الوصول إلى لب الفكرة التي قصدها إقبال ، والسبب في ذلك - غالبا - هو كون
الترجمة شعرا ، وعدم معرفة المترجم بالأردية معرفة جيدة ، ومن هنا فقد حدثت بعض

الأخطاء في الترجمة نتيجة لعدم فهم بعض مصطلحات وتراكيب اللغة الأردنية . وفي بعض الأحيان تكون الترجمة مجرد طيف غير واضح من الأصل ، ولا يحمل من معانيه سوى ومضات قليلة ، وهو ما نراه في ترجمته لمقطوعة بعنوان " فلسفه ومذهب : الفلسفة والدين " فجاءت الترجمة في ثمانية أبيات بينما الأصل في خمسة . يقول إقبال :

يه آفتاب کیا یه سهر برین هـ کیا سمجھا تھیں تسلسل شام وسحر کو مین
ابن وطن مین ہون کہ غریب الدیار ہون

درتا ہون دیکھہ دیکھہ کـ اس دشت ودر کو مین
کھلتا تھیں مریب سفر زندگی کا راز لاؤن کھان سہ بندہء صاحب نظر کو مین
حیران ہـ بو علی کہ مین آیا کھان سہ ہون

رومی یه سوجتا ہـ کہ جاؤن کیدھر کو مین
جاتا ہون قہوری دور ہر اک راہرو کـ ساہـ

بھجانتا تھیں ہون ابھی راہبر کو مین (23)

وترجمها الأستاذ عبد المعين الملوحي ترجمة صحيحة كما يلي :

ما هذه الشمس ؟ ما هذه السماء العالية ؟ أنا لا أفهم تتابع الأماسي والأصباح
أنا في بيتي ؟ أم أنا غريب ؟ أخاف عندما أرى هذا الوادي وذلك الجبل
رحلة حياتي هذه لا أجد لها تفسيراً أين أجد إنساناً ذا بصيرة ؟

تعجب أبو علي : " من أين أتيت ؟ " تساءل الرومي : " إلى أين أذهب ؟ "
" أوافق كل مسافر طرفاً من طريق ولا أعرف حتى الآن دليلي ! " (24)
وجاءت ترجمة الأستاذ زهير ظاظا لها كما يلي :

محل الدين من يد الفيلسوف	محل الشمس من كبد السماء
لہ فی کل یوم وہم بحث یكون من الصباح إلى المساء	
أنا في ظل بيتي أم غريب	وهل سفري بعيد أم قريب
قد استوحشت من جيل وواد	فأين تراه يستتر الحبيب
أضعت على رسوم القوم عمري	أفتش عن بصير بالرسوم
تعجب جنت من أين (ابن سينا)	وسألني ستذهب أين (رومي)
أوافق في طريقي كل سار	وأعطيہ نصيحا من طريقي

ولم أر في طريقي مستعديكون إلى نهايته ريفي (25)

ومع ذلك فإننا لا نعدم بعض الترجمات الجيدة القريبة من الأصل المعبر عن الفكرة كاملة ، بل وتتساوى مع الأصل في عدد الأبيات أحيانا . على سبيل المثال في مقطوعة بعنوان " سوال : سوال " يقول إقبال :

اك مفلس خوددار يه كهتا تما خدا سـ مین كسر نهين سكتا كله درد فقيرى
ليكن يه بتا ، تيري اجازت سـ فرشتـ كرتـ هين عطا مرد فرومايه كو ميرى (26)
وترجمها عبد المعين الملوحي صحيحة كما يلي :

قال الله فقير أبى : " أنا لا أشكو إليك الفقر الذي يوجعني "

ولكن قل لي : " أبركتك تهب الملائكة السلطة للأفاقين من الناس ؟ " (27)
وترجمها زهير ظاظا كما يلي :

قال درويش أبى يسأل الله تعالى أنا لا أشكو إليك الفقر والعيش انحالا
لكن اللهم قل لي أنت أرسلت الملائك ليقموا سلطة الأوغاد في ظل سمانك (28)

وسوف نلاحظ عند زهير ظاظا استرساله في بعض الأحيان بشعر من عنده لا وجود له في الأصل ، وإن كان لا يخرج عن إطار الفكرة العامة . وفي بعض الأحيان يضطر - لسبب قد يكون وجيها - إلى صياغة المعنى الأصلي بطريقة تختلف بعض الشيء عن مدلوله ، والمثال على ذلك في البيت السابع والأخير من الغزلية رقم (3) من الديوان والذي يخاطب فيه إقبال الله تعالى قائلا :

روز حساب جب مرا بيش هو دفتر عمل

آب بهي شرمسار هو ، مجھت كو بهي شرمسار كر (29)

الترجمة :

عندما يقدم كتابي يوم الحساب سيصيبك ويصيبني الخجل

والمعنى هنا قد يؤدي إلى سوء فهم لدى القارئ العادي إن هو ترجمه كما هو ، ولذا فقد تخلص المترجم من هذا المأزق وصاغ الترجمة بطريقة لا تبعده عن الفكرة الأساسية ، وتجعل المعنى مقبولا لدى القارئ العربي الذي لا يستطيع التوصل بسهولة إلى ما يقصده إقبال ، فقال :

سترى كم توبة في صفحتي وأرى كم رحمة في صفحتك

أنا قد يحمر وجهي خجلا حين تبدو صحفي بين يديك (30)

وهنا لا بد أن نشير إلى أن الأستاذ زهير ظاظا قد أردف بالترجمة ترجمة وتخريجا للأعلام والأماكن التي وردت بالنص الأصلي ، وأكثر من هذا أنه أورد أرقام صفحات المنظومات في النص الأصلي ، وهو ما يوحي بأنه ربما كان الأستاذ زهير ظاظا على إلمام باللغة الأردنية ، أو أنه قد استعان بوسيط آخر من أهل اللغة ساعده في استيعاب المعاني ومقارنتها بالترجمة الفرنسية والعربية واستخراج النص الأصلي ورقم صفحته ، وقد ذكر هو نفسه بأن الأستاذ عبد المعين الملوحي ساعده في هذا الأمر ، يقول : " وكانت هذه هي المرة الأولى التي أزوره - أي الأستاذ عبد المعين الملوحي - في بيته لأرى مثال الشهامة والمروءة ، فبالرغم من ثقل المرض ووطأة الشيخوخة ن سهر بكل حماس ونشاط يبحث معي في المصادر للتحقيق من النقاط التي استشكلتها من ترجمته فجزاه الله عنا كل خير " (31) .

ومن الذين ترجموا للعلامة إقبال من الأردنية إلى العربية شعرا الشاعر اليمني الكبير الأستاذ محمد محمود الزيري (32) الذي عاش في باكستان لاجئا لأربع سنوات تقريبا من عام 1948م وحتى عام 1952م ، وهذا يعني أنه عاش في باكستان في نفس الفترة التي عمل فيها الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام سفيرا لمصر بها ، وقد جمعت بينهما لقاءات عديدة ، بل إن الزيري قد ألقى قصيدة في استقبال عزام بباكستان نذكر منها هذه الأبيات :

أهلا بعزام وسهلا به من شعبه جاء إلى شعبه

تنال باكستان من روحه ما نال وادي النيل من قلبه

عزام ، هذي زفرة أطلقت من لب الروح ومن ذوبه

ثارت على صمتي وضافت به وفجرت دمعي من غربه

في موكب اللقيا يذيع الهوى ويخرج المستور من حجبه

ويذهل العاشق عن عقله ويكشف الهيمن عن قلبه (33)

* هذا وقد ترجم الزيري للعلامة محمد إقبال عن الأردنية عدة منظومات هي :
- وراء الأقنعة - أمنية إقبال - غزو الأعماق - الفجر الثاني - امتداد الشعب العربي -
دعاء - الطائر اللاهوتي - شحاذ - بيت منفرد - الأمر الإلهي للملائكة - الإنسان يغزو
الكون - مناقشة إقبال لربه - ابن الصقر - الحياة حرب - الفقر الحيدري - السمو

بالإنسان - أسير الحضارة - مسجد قرطبة - عتاب إلى الرب - السهم الخائر - إلى الشباب المسلم .

هذا وقد كانت اللغة حائلا بين الزبيري وإقبال مما ألجأه إلى وسيط يترجم له الأشعار نثرا ، ثم يقوم هو بصياغتها ، وكان هذا الوسيط هو الأستاذ محمد حسن الأعظمي ، وهو نفس الوسيط في ترجمة الشيخ الصاوي علي شعلان كما سيأتي فيما بعد ، ولأن الزبيري كان شاعرا مطبوعا مثقفا فقد تفاعل مع روح هذه النصوص المترجمة بحرية بعيدا الالتزام بحرفية النص ، وهو ما جعل ترجمته تزيد في عدد أبياتها كثيرا عن أبيات النص الأصلي ، يقول الزبيري . " كان الأستاذ محمد حسن الأعظمي يقدم إلي معاني المقطوعات أو القصائد الشعرية لإقبال من الأردنية إلى العربية نثرا مقتصرًا فيها على المعنى الأصلي ، فأتناول هذا النص المنشور ، وأرجع إلى الأصل أتلمس روح إقبال من وراء هذا الحائط الحديدي الذي يحجزني عنه - حائط اللغة الأردنية والمصطلحات الشعرية الخاصة بهذه اللغة - ثم أنطلق بروحي في هذا الجو متحررا من قيود الترجمة تاركًا حبل خيالي على غاربه ، واثقا من أن معاني إقبال التي تسكن في هذه القصائد المدونة ليست إلا ومضة من روحه الواسعة التي لا تخضع لحدود ولا قيود " (34) . وربما كانت هذه الثقة لدى الزبيري بأنه لا يستطيع التعبير بشكل كامل عن إقبال - وهو أمر منطقي في ترجمة الشعر إلى شعر - وإنما عن ومضة من ومضاته أحد الأسباب في جودة الترجمة ، إذ أنه تحرر من قيد التعبير الكامل عن الأصل بما يشكل عبئا ثقيلا على المترجم حتى يتمه ، وهيهات ، فأخذ ينظم الفكرة نفسها ، والتي وجدت صدى بداخله لما يمر به من ظروف نفسية صعبة بسبب بعده رغما عنه عن وطنه ، ولذا فإن " هذه الترجمات وإن تمت في جو إقبال ، إلا أنها نابعة من روح الزبيري أيضا ، فلم يكن قد أجاد الأردنية عندما بدأ الترجمة ، وقد وجد فيها تعبيرًا صادقا وعميقا عن مشاعره الروحية والثورية " (35) ، وفي ذلك يقول الزبيري نفسه " نحن لم نبرز خصائص هذا الشاعر ، ولم نصف عبقريته ، ولم نقدم إلى الناس شعره الممتاز ، بل قدمنا فكرة من أفكاره ، ورأيا من آرائه ، ولكن هذا لا ينبغي أن يصدنا عن نقل ما نستطيع نقله إلى لغتنا من تفكير وإحساس على أن نعتبره تقريبا بين العقليات البشرية ، وتلقيحا للروح الإنسانية بعضها ببعض " (36) وربما كان هذا الأمر من الأسباب الرئيسية التي حدت بالزبيري إلى ترجمة أشعار إقبال إضافة إلى مكانة إقبال وروعة شعره " باعتباره الصوت الجهير في الأردنية ، وهو الشاعر

الذي علم ذرات الأرض - كما يقول الزبيري - كيف تصبح جبارة في مقاومة الظالمين وقد وجد الزبيري في شخصيته الفذة ، وفي شعره الإنساني عزاء ودفنا يؤنس وحشته في ذلك المنفى البعيد " (36) .

لكن الذي يميز ترجمة الزبيري هو أنه صاغها في مقطوعات متحدة الوزن والقافية ، وهو ما ناسب الأفكار التي نظمها إقبال في شكل مقطوعات رغم زيادة الأبيات في الترجمة زيادة كبيرة أحيانا ، وهذا غرض من ترجمة الزبيري لإقبال ، وهي عبارة عن صياغة حرة لمنظومة بعنوان " فرمان خدا : أمر الله " ، يقول إقبال :

اھو میری دنیا کہ غریبوں کو جکا دو کاخ امرا کہ در و دیوار ہلا دو
کراماؤ غلاموں کا ھو سوز یقین سے کنجشک فرومایہ کو شاہین سے لڑا دو
سلطانہء جمہور کا آتا ھ زمانہ جو نقش کھن تم کو نظر آتا ھ
جس کھیت سے دھقان کو میسر ھن روزی
اس کھیت کہ ھر خوشہء کندم کو جلا دو
کیون خالق و مخلوق میں حائل رہیں برید بران کلیسا کو کلیسا سے اٹھا دو
حق را بسجودید ، صنمان را بطواف بہتر ھ چراغ حرم و دیر بجھا دو
میں نا خوش و بیزار ھوں مرمر کی سلون سے میریے لیتے متی کا حرم اور بنا دو
تھذیب نوی کار کہ شیشہ کران ھ آداب جنون شاعر مشرق کو سکھا دو (37)
وترجمۃ المنظومۃ نثرا کما یلی :

انھضوا وأیقظوا فقراء أمتی ... وهزوا جدران وأبواب قصور الأمراء .
واجعلوا دماء العبيد تفور بجمرة اليقين ... واجعلوا الطائر الصغير يحارب الشاهين .
إن زمان حکم الشعب قادم فاحموا کل أثر عتیق یدو لکم .
الحقل الذي لا يوفر للزراع الرزق ، أحرقوا کل سنبلة قمح في هذا الحقل .
لماذا تحول الحواجز بين الخالق والمخلوق ... أخرجوا شیوخ الكنيسة من الكنيسة .
يسجدون للحق ويطوفون بالأصنام ... الأفضل أن تطفنوا مصباح الحرم والدير .
إني متضایق وغير راض عن أحجار المرمر ... فابنوا لي حرما آخر من الطين .
الحضارة الجديدة مجرد صناعة زجاج ... علموا شاعر المشرق آداب العشق .
وترجم الزبيري هذه المنظومة کما یلي :

قوموا	انظروا	لعالم	الدنيا	وزوروا الفقراء
وأيقظوهم من سبات				وظلام وغيباء
هبوا إلى ساح الملوك				وقصور الأمراء
هزوا مقاصير الحمى				وزلزلوا كل بناء
وأوقدوا نار اليقين				في دماء الأسراء
وعلموا العصفور كي				يدفع بغبي الأقوياء
وكي يذيب غلب الصقر				بروح الإسياء
وكي يعز في الوكور				ويسود في الفضاء
وكي يشور في القيود				والسجون والشقاء
وكي يعيش ما يشاء				في اعتزاز وإبـاء
يعلم القوي كي يعرف				قدر الضعفاء
هذا زمان صار فيه				الشعب فوق الرؤساء
وفوق ما يجيش في				أنفسهم من كبرياء
وفوق ما يؤلبون				من عبيد وإماء
وفوق ما بتاجهم				من زخرف وطـلاء
وما على وجوههم				من البريق والبرواء
فحطموا كل ضلال				من بقايا القدماء
إذا المزارع الشقي				في أراضي السعداء
لم يلق خطا من حياة				أو نصيبا من غذاء
ولم ينل من جهده				غير احتقار وازدراء
ولم يعوض من دموع				ودم بجمرة ماء
فأحرقوا سنابل القمح				بأرض الأغنياء
ودمـسروا ما تجدون				من حقول اللؤماء
الشاربين العذاب ظلما				من دماء البؤساء
الطاعمين السحت				من لحم الجياع التعاء
الراقصين للشيد				من نواح وبكاء

المالئين للقبور	من ضحايا الأبرياء
الزاعمين أنهم	أشرف من تحت السماء
لا تجعلوا بيني	وبين أعبي وسطاء
وأخرجوا الكهان	من دير مليء بالرياء
إن سجدوا لله يوما	طوفوا للشركاء
فأطفئوا النور إذن	في حجرات الجهلاء
في معبد الرهبان	أو في مسجد الخلفاء
وعمروا لي معبدا	في الأرض من طين وماء
فقد سئمت من رخام	ونقوش وهـراء
وأوقدوا في شاعر الشرق	ومض الأنبياء
وعلموه صنع آداب	جنون وانتشاء
وليس هذي المذنيات	سوى دنيا هـاء
أو مصنع بيني زجاجا	من هراء وافتراء (38)

أما أروع الترجمات الشعرية التي تمت لإقبال سواء من الأردنية أو الفارسية فهي التي قام بها المرحوم الشيخ الصاوي علي شعلان (توفي عام 1982م) ، وكان الوسيط فيها الأستاذ محمد حسن الأعظمي الذي كان يعمل بالسفارة الباكستانية بمصر في ذلك الوقت ، وهو الذي كان وسيطا في ترجمة الأستاذ محمد محمود الزبيري أيضا ، كمل تعاون مع الشيخ في الترجمة الأستاذ عبد الباري أجم والمرحوم الأستاذ الدكتور غلام محي الدين العربي . والحق يقال بأن ترجمة الشيخ الصاوي علي شعلان هي التي كتبت الذبوع والانتشار لإقبال بين أبناء العربية بما تميزت به من جمال الألفاظ والتراكيب ، ودقة التعبير ، وروعة الجرس الموسيقي الساحر حتى أن القارئ لترجماته لا يشعر أبدا أنها ترجمة ، بل على العكس يظن لأول وهلة أنها لا بد أن تكون من بنات أفكار الشيخ نفسه ، رغم أنه لم يلتزم سوى بالفكرة الأساسية التي يضمها الأصل الأردني ، ورغم أن الشيخ لم يكن يعرف الأردية ، ولكن الوسيط هنا تكامل مع الشيخ شعلان في الفهم الدقيق لأشعار إقبال وفلسفته والتفاعل معا . وقد لفتت الترجمة أنظار المثقفين إليها حتى قامت سيدة الغناء العربي " أم كلثوم " بغناء مختارات من ترجمته لقصيدتي " شكوى و جواب شكوى " تحت عنوان " حديث

الروح " ، فلاقت رواجاً لا مثيل له ، ولا زالت هذه الأغنية تلقى نفس الإعجاب في العالم العربي إلى يومنا هذا رغم أنها عبارة عن بعض الأبيات التي لا تعدى عشرين بيتاً ليست بالتأكيد هي أفضل ما ترجمه الشيخ الصاوي علي شعلان .

وبنظرة بسيطة على الوسيط في ترجمة الشيخ الصاوي علي شعلان نجد أنه بسيط متميز في مستواه الثقافي ، مستوعب في أكثر الأحوال لمفهوم أشعار إقبال ، ولديه تجربة سابقة - وربما أكثر - في ترجمة أشعار إقبال مثلما هو الحال مع الأستاذ محمد حسن الأعظمي الذي قام بالترجمة الثرية من قبل للأستاذ محمد محمود الزبيدي الذي صاغ بدوره هذه الترجمة شعراً عربياً جميلاً . وبالرغم من ذلك جاءت الترجمة في كثير من الأحيان مستوعبة للمعنى الذي قصده إقبال دون الالتزام بحرفية هذا المعنى ، والسبب الرئيسي في هذا - كما نظن - هو قوة شاعرية الشيخ الصاوي علي شعلان واتجاهه الإسلامي ، وتفاعله الشديد مع فلسفة إقبال مما جعله يخرج تفاعله مع المضامين بشكل أدى إلى وتنوح شخصية الشيخ وفكره بطريقة جعلت أشعاره في كثير من الأحيان - بشهادة المتخصصين - تفوق في جمال النص الأصلي ، فجاءت أشعار الشيخ إبداعاً أكثر منها ترجمة ، هذا إلى حرص الشيخ الصاوي علي شعلان على أن تأتي صياغته الشعرية في شكل رباعيات أو مقطوعات متحدة القافية والوزن مما يزيد تأثيراً وجمالاً .

وقد حرص الشيخ الصاوي علي شعلان على أن يقدم للصياغة الشعرية بالترجمة الثرية ، وهو ما يكفل إزالة أي غموض قد يبدو فيها ، وهناك بعض المنظومات التي اكتفى الشيخ الصاوي بإيراد الترجمة الثرية لها ولم يصوغها شعراً مثل منظومة " هيمالايا " ومنظومة " مسجد قرطبة " ، ولا ندري لذلك سبباً سوى أن الوقت - كما نعتقد - لم يسعفه ، وسوف نكتفي هنا بذكر غودج واحد من ترجمة الشيخ لقصيدة " طلوع إسلام " التي لا تقل ترجمتها روعة وجمالاً عن ترجمة حديث الروح ، يقول إقبال :

دليل صبح روشن هـ ستارون کی تنک تابی

افق سـ آفتاب ابراهـ ، کیا دور کران خوابی

عروق مردهء مشرق مین خون زندگی دورا سمجھ سکتہ ہیں اس راز کو سینا وفارابی
مسلمان کو مسلمان کر دیا طوفان مغرب نہ

تلاطم ہائے دریا ہی سہ ہ کو ہر کی سیرابی .

عطا مومن كو ۛ دركاه حق س هون والا هـ

شكوه تركماني . دهن هندی ، نطق اعرابي (39)

وهذه هي الترجمة التريفة :

خفت ضوء النجوم دليل الصبح المشرق ... ظهرت الشمس من المشرق ، رمضى زمر
النوم الثقيل

وجرت دماء الحياة في عروق الشرق المحتضر ... ولا يستطيع أن يفهم هذا السر ابن سينا
والفارابي .

زاد طوفان الغرب في إيمان المسلمين ... كتلاطم أمواج البحار يخلق اللؤلؤ " في الأصداف
وسينعم الله على المؤمنين ثانية بعظمة الأتراك وذكاء الهنود وفصاحة العرب .

وصاغها الشيخ الصاوي علي شعلان شعرا هكذا :

تبشرني النجوم إذا توارت لدى الأسحار بالفجر الوليد

بشير اليمن باليوم الجديد

كأن خفت ضوء النجم ليلا

ونور الشمس آذن بالشرق

مضى النوم الثقيل عن المآقي

عزائمه دماء في العروق

وهب الشرق متبها وثارت

يجليه انتصار المؤمنين

وللرحن في الأقدار سـ

ولا تدريه فلسفة ابن سينا

فلم يدرك أبو نصر مسـداه

لرحف المسلمين إلى النضال

هـنـم والغرب كان أجل حفـز

يجود البحر بالدرر الغوالي

وعند تلاطم الموج احتداما

بني الإسلام عز التركمان

حبانا الله خيرا يوم أهـدى

واعجاز العروبة في البيان (40)

وقلدهم ذكاء الهند فضـلا

رحم الله العلامة إقبال ، ورحم كل من أسهم في تقديمه إلى أبناء العربية ... آمين .

هوامش

- 1 - د / أنجد حسن سيد أحمد - شاعر الشرق محمد إقبال - ص 12 - القاهرة - مصر - 1997م .
- 2 - يذكر د / حميد إبراهيم أن فريقاً من فرقته تدعى البرونزية لها اتجاهات خطيرة على الإسلام ، فهو ينكر الحديث كليا ، ولا يؤمن إلا بالقرآن ، وقد أنشر القصص الباكستاني الشهير نسيم حجازي الى أن عزام لم يكن يعلم عن اتجاه برونز هذا
- انظر : د / سمير عبد الحميد إبراهيم - الأسرار والرموز - ترجمة د / عبد الوهاب عوام - ص 89 ، 90 - القاهرة - مصر 1981م .
- 3 - د / عبد الوهاب عزام - ضرب الكليم - المقدمة ص ب - القاهرة 1952م .
- 4 - كليات إقبال - ص 598 - لاهور - باكستان 1986م /
- 5 - المرجع السابق - ص 599 - 6 - المرجع السابق - ص 605
- 7 - د / نعمات فؤاد - شخصية مبدعة ونسيج فريد - مقالة في مجلة العربي الكويتية - ص 124 - العدد 305 - أبريل - 1984م .
- 8 - مقدمة ترجمة ضرب الكليم - ص هـ . - 9 - المرجع السابق - ص و .
- 10 - المرجع السابق - ص ز .
- 11 - د / سمير عبد الحميد إبراهيم - ديوان الأسرار والرموز - مقدمة الدكتور عبد الوهاب عزام - ص 8 .
- 12 - د / عبد الوهاب عزام - ضرب الكليم - ص 66 ، كليات إقبال ص 554 .
- 13 - ترجمة ضرب الكليم - ص 68 ، كليات إقبال ص 557 .
- 14 - ترجمة ضرب الكليم - ص 83 ، كليات إقبال ص 578 .
- 15 - عبد المعين الملوحي - ديوان جناح جبريل - ص 12 - دمشق 1987م .
- 16 - زهير ظاظا - ديوان جناح جبريل - ص 6 - دمشق 1989م .
- 17 - المرجع السابق - ص 5 . 18 - المرجع السابق - ص 6 .
- 19 - المرجع السابق - ص 7 . 20 - كليات إقبال - ص
- 21 - كليات إقبال - ص 462 . 22 - كليات إقبال - ص 462 .
- 23 - كليات إقبال - ص 440 .
- 24 - عبد المعين الملوحي - ديوان جناح جبريل - ص 223 .

- 25 - زهير ظاظا - ديوان جناح جبريل - ص 321 .
- 26 - كليات إقبال - ص 423 .
- 27 - عبد العين الملوحي - ديوان جناح جبريل - ص 227 .
- 28 - زهير ظاظا - ديوان جناح جبريل - ص 329 .
- 29 - كليات إقبال - ص 299 . 30 - زهير ظاظا - ديوان جناح جبريل - ص 23 .
- 31 - المرجع السابق - ص 6 .
- 32 - محمد محمود الزبيري من أكبر شعراء اليمن ، ولد عام 1919 م في أسرة تنتمي إلى الطبقة المتوسطة ، ويشغل بعض أفرادها بالقضاء ، والبعض بالتجارة ، ودرس بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وعاد إلى اليمن قبل أن يكمل دراسته ، وتولى وزارة المعارف في حكومة الانقلاب الأولى نالين عام 1948م ، وفي الشهور الأولى لتولية الوزارة ذهب كعضو في وفد يمني للتباحث مع وفد الجامعة العربية برئاسة عبد الرحمن عزام باشا ، وللتباحث أيضا مع حكومة المملكة العربية السعودية ، ولما تعثرت المفاوضات قرر العودة إلى صنعاء كانت المدينة قد سقطت في يد الثوار ، وكان عليه أن ينجو بنفسه ، فعاد من السعودية إلى عدن ، ومنها فر على ظهر باخرة إلى الهند ، ومنها إلى باكستان ، وهناك عاش حياة صعبة حتى أنه كان يتخفى ليلا ويبيع الأقفال والمفاتيح كي يجد ما يقتات به ، وظل بباكستان خمس سنوات ، ثم جاء إلى مصر بدعوة من حكومة الثورة المصرية عام 1956م ، وظل بمصر حتى قيام الثورة اليمنية في السادس والعشرين من سبتمبر عام 1962م ، وتولى منصب نائب رئيس الوزراء إلى أن اغتيل في 31 مارس عام 1965م . وللزبيري ثلاثة دواوين شعرية هي : صلاة في الجحيم و ثورة الشعر ونقطة في الظلام
- 33 - ديوان الزبيري - ص 352 - بيروت 1986م .
- 34 - المرجع السابق - ص 493 . 35 - المرجع السابق - ص 486 .
- 36 - المرجع السابق - ص 501 . 36 - المرجع السابق - ص 493 .
- 37 - كليات إقبال - 401 . 38 - ديوان الزبيري - ص 648 .
- 39 - كليات إقبال - 267 . 40 - د / أمجد حسن سيد أحمد - شاعر الشرق - ص 3